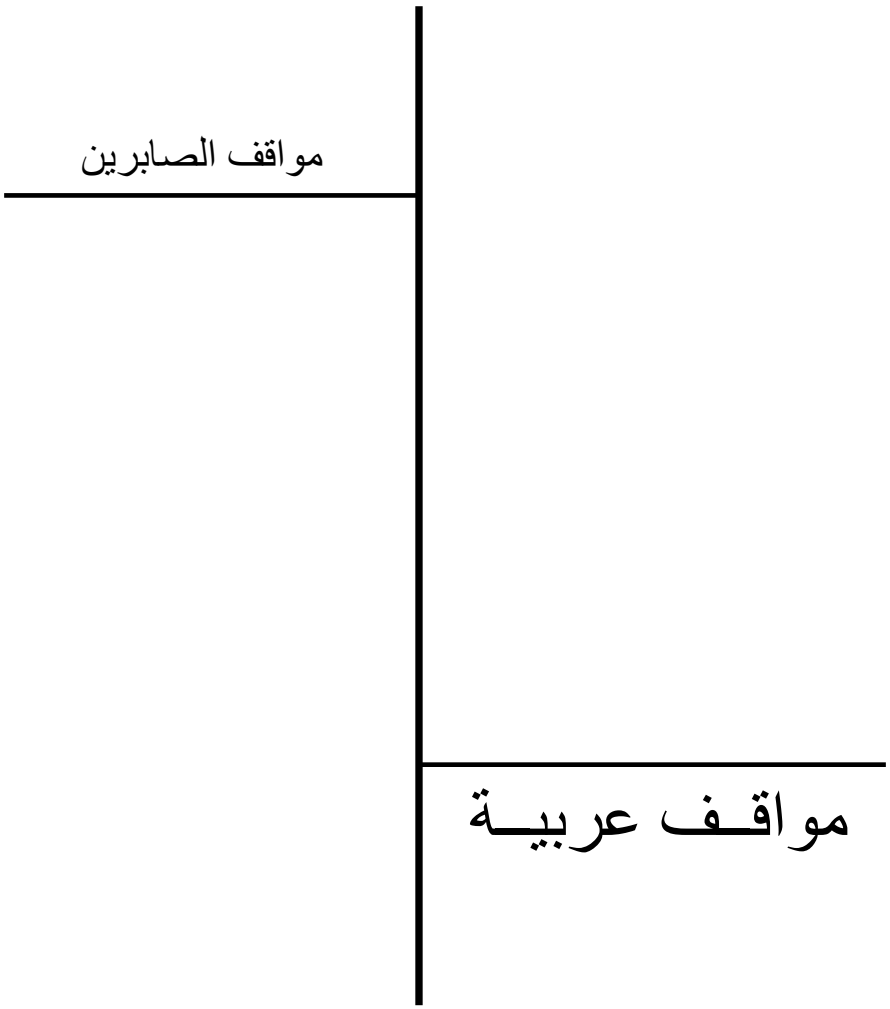
مواقف الصابرين
مواقــف عربيــة

مواقف الصابرين

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط. والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولابد أن يبنى عليها أعماله وآماله وإلا كان هازلا.. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ? وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كُربة، يجب أن يظل موفور الثقة بادى الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل يبقى موقنا بأن بوادر الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين.

وقد وصف الله - تعالى - الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } [السجدة: ٢٤]. وقال تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٦]. وقال تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا } [القصص: ٥٤]، وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠]. فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب، إلا الصبر، ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ١٥٣، والأنفال: ٤٦]. وجمع لهم بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ } [البقرة: ١٥٧].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ: "**مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيراً لَهُ وَلاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**"[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجُ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسراً**"[2].

---

(1) متفق عليه، البخاري (1400) باب الاستعفاف عن المسألة، مسلم (1053) باب فضل التعفف والصبر، مستدرك الحاكم (3552) تفسير سورة السجدة، واللفظ له، تعليق الذهبي في التلخيص " على شرط البخاري ومسلم ".

(2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (5411)، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (686).

وعَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّاب وَأَبِي صَالِحٍ: عَنْ شَيْخٍ مَنْ أَصْحَاب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِر عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْمُؤْمِن الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاس وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**-(1).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَجُلاً كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَة، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِيْنَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"**نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَكَذَّبَهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصرتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**-(2).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاه اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**-(3).

وقال الجنيد: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسئل الجنيد عن الصبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبيس.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس في الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى :{ وَٱصۡبِرۡ} أمر بالعبادة، وقوله:{وَمَاصَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ } [النحل: ١٢٧]، عبودية، فمن ترقىَّ من درجة

---

(1) أحمد (5022)، تعليق شعيب الأرنؤوط " إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين "، سنن البيهقي الكبرى (19962) باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع (6651)، الصحيحة 939.

(2) أبو داود (4897) باب في الانتصار، واللفظ له، تعليق الألباني " حسن بما بعده "، أحمد (9622)، تعليق شعيب الأرنؤوط " حسن لغيره ".

(3) متفق عليه، البخاري (6943) باب قول الله تعالى :{ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ } [الذاريات: ٥٨]، واللفظ له، مسلم (2804) باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل.

لك إلى درجة بك؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.

وقال ابن عطاء: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال أبو عثمان: الصبار: الذي عوَّد نفسه الهجوم على المكاره.

وقيل: الصبر: المقام مع البلاء بحسن الصحية، كالمقام مع العافية.

قال عمرو بن عثمان: الصبر. هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

وقال ذون النون: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى.

وقال عليٌّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري :: وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافةً أن يشكو ضميري صبابتي :: إلى دمعتي سرَّاً فتجري ولا أدري

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تخلق بأخلاقي، وإنَّ من أخلاقي أنني أنا الصبور.

وقيل: الصبر لله: عناء، والصبر بالله: بقاء، والصبر في الله: بلاء. والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء.

وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه :: والصبر في سائر الأشياء محمود

وأنشدوا:

وكيف الصبر عمن حل مني :: بمن زلة اليمين من الشمال

إذا لعب الرجال بكلِّ شيء :: رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في المحن علامة الفرج.

وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المرابطة في رباط حالك.

- وقيل في الصبر على النوائب

أتصبر في البلوى عزاءً وحسبةً ⁝ فتؤجر أم تسلو سلو البهائم [1]

وقيل:

عوِّلْ على الصبرِ واتخذْ سبباً ⁝ إلى الليالي فإنها دُوَلُ

وقيل:

- تنقلُ الدهرِ للفتى سببٌ ⁝ والمرءُ والدهرُ حيثُ ينتقلُ
فدمْ على صبرِكَ الجميلِ له ⁝ واعملْ فإن الملوكَ قد عملوا

ومن المواقف:

فاحتسب ابنك:

عن ثابت عن أنس قال: مات ولد لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع، وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا فقالت: فاحتسب ابنك.

قبلت رأس علج:

عن عكرمة عن ابن عباس قال: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في النقرة النحاس. فقال: ما أفعل، فدعا بنقرة من نحاس فملئت زيتا وأغليت، ودعا رجلا من المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى فألقاه في النقرة، فإذا عظامه تلوح، فقال لعبد الله بن حذافة: تنصر، وإلا ألقيتك. قال: ما

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 251/1.

أفعل، فأمر أن يلقى في النقرة فكتفوه فبكى فقالوا: قد جزع قد بكى قال ردوه فقال لا تظنن أني بكيت جزعا ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل ، كنت أحب أن يكون لي أنفس عدد كل شعرة في، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا قال: فأعجبه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل ، قال: تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال: قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذا فنعم، فقبل رأسه، فأطلقه وثمانين معه، فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبل رأسه، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد الله، ويقولون: قبلت رأس علج[1].

عروة بن الزبير: اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت:

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل لهإقطعها. قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقا، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت ولم يقبض وجهه، وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألما؟ فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة: إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها، فقال: بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأنه فقال:

(وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نكبةً :: أقول شَوًى ما لم يُصِبْن صَميمي)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأتاه ابن المنكدر، وقال: كيف كنت فقال: {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} [الكهف: ٦٢].

(1) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ، ص54.

كأنك لم تدع الى ضر مسك:

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج ! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل :{مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ} [يونس: ١٢].

أكثروا سؤال العافية:

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: كان عبد الأعلى التيمي يقول: أكثروا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزى في الآخرة فما يؤَمِّن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة؟ ! فما يؤَمِّن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك: الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعمَّر فيها لا نبليها[1].

فأنت الراكب وأنا الماشي:

وخرج يوما إلى الحج ماشيا فرآه رجل على ناقته، فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج. قال: أين الراحلة فإن الطريق بعيد؟ قال لي: مراكب كثيرة ولكن لا تراها. قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر ، وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر ، وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء، وإذا دعتني نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى. فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي[2].

(1) عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، فقه الأدعية والأذكار ، ط الكويت ، الطبعة: الثانية ، 1423هـ/2003م، 277/1.

(2) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 1 / 87.

المال مال الله:

عن ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال: نظر ابراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذه منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن أخر فقد وندم[1].

فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم!:

وقال، قال لي أبو سليمان: " يا أحمد!، أيكون شيء أعظم ثوابًا من الصبر؟ " قلت: " نعم!، الرضا عن الله! "، قال: " ويحك!، إذا كان الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم! ".

وقال، قال لي يومًا: " إذا أردت أبداً حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل ".

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!:

حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال: خرجت الى ساحل البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟! فهمٌ أم علمٌ أم إلهامُ ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلاً فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ ! وأي فضيله تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 33/8.

الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشي خلق، في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت: أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى؛ قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي؛ قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛ قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة، فمات؛ فقلت: إنا لله وانا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتي؛ رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع؛ فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون: بأبي عين طالما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طالما كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت: من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب

ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ ؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي: {سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤} [الرعد: ٢٤]، فقلت : ألست بصاحبي؟ قال : بلى، قلت : أنى لك هذا؟ قال : إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية[1].

* * *

(1) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395 - 1975م، 4/5.